جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المادة : دراسات صرفية قديمة

المحاضرة الثالثة

التصريف عند القدامى حتى القرن السابع الهجري

أستاذ المادة : أ. د. فيحاء قحطان ممدوح

علم التصريف

التصريف لغةً : التحويل والتغيير [١] ومنه قوله تعالى : ((وتصريفِ الرياحِ)) (البقرة : ١٦٤) فهو ((صرفها من حالٍ الى حالٍ))[٢] و((من وجهةٍ الـــى وجهة))[٣] .

وأول من ميز مسائل علم الصرف من مسائل علم النحو هو أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء الكوفي (ت ١٨٧ هـ) , وقيل ان اول من دون علم الصرف هو أبو عثمان المازني (ت ٢٤٩ هـ) وكان قبل ذلك مندرجا في النحو .

((ويُمكن أن نقسمَ تأريخ نشأة الصرف الى دورين , الأول يبدأُ قبلَ أن يؤلف سيبويه كتابهُ وينتهي بصدور الكتاب , والثاني يبدأُ من سيبويه))[٤] .

وذكرت المصادر أسماء بعض الكتب التي تحمل اسم التصريف منها (كتاب التصريف) لابي الحسن محمد بن احمد بن كيسان (ت ١٢٠ هـ) , و (كتاب التصاريف) للمكتيمي (ت ١٢٥ هـ) , و (التصريف) لعلي بن المبارك الأحمر الكوفي (ت ١٩٤ هـ) .[٥]

وذكرَ ابن النديم والسيوطي أن محمد بن الحسن الرؤاسي ابن اخ معاذ الهراء ألفَ كتاب (التصغير) وكتاب (الوقف والابتداء الكبير) و (الوقف والابتداء الصغير)

---

١ - اللسان (صرف) ٩ / ١٨٩ .
٢ - المفردات (صرف) ٤٨٢ .
٣ - الكليات (صرف) ٥٦٢ .
٤ - يُنظر : ابنية الصرف على كتاب سيبويه . د.خديجة الحديثي / ص ٢٨ .
٥ - المصدر نفسه . ص٢٩ .

وكتاب (الافراد والجمع) . [1]

أما التصريف في الاصطلاح , عرفهُ سيبويه (ت ١٨٠ هـ) بقوله :

((بناءُ ما لم تنطق به العرب على مثال ما نطقت به))[2] ,

ويقول سيبويه ايضاً : ((هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والافعال غير المعتلة والمعتلة , وما قيسَ من المعتل الذي لا يتكلمون به ولم يجئ فـي كلامهم الا نظيره من غير بابه وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل))[3]

ولم يذكر المبرد (ت ٢٨٥ هـ) تعريفاً للتصريف غير أنه لا يعدُ البدلَ والزوائدَ والحذف والابنية من التصريف , وإنما هي أمور تقع في التصريف دون أن تكونَ هي التصريف [4] .

وعرفهُ ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) بأنهُ :

((ما عُرِضَ في أصولِ الكلامِ وذواتها من التغيير))[5] ,

وهو تعريفٌ لا يختلفُ كثيراً عمَّا فُهِمَ من سيبويه والمبرد , غير انه يجعل التصريف خمسة أقسام : زيادة وابدال , وحذف , وتغيير بالحركة والسكون , وادغام , وهذه لم تكن من اقسام التصريف عند سيبويه والمبرد , ولعلها اول محاولة لتوسيع دائرة مفهوم التصريف .

أما السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) يرى ان مقصود سيبويه هو : ((مسائل التمرين

---

[1] - المصدر نفسه .
[2] - يُنظر : كتاب سيبويه ٤ / ٢٤٢ .
[3] - المصدر نفسه .
[4] - الخلاف التصريفي واثره الدلالي في القران الكريم : فريد عبد العزيز / ص ٢٠ .
[5] - يُنظر : الأصول في النحو ج ٣ / ٢٣١ .

))[1]) , وهي تسميةٌ اطلقها المتأخرون على علم التصريف , وبذلك يكون السيرافي قد جعل التصريف خاصاً بالقسم الثاني مما نصَّ عليه سيبويه وأغفلَ القسم الأول الذي هو (باب ما بنت العرب من ..... الخ) .

وألفَ أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) كتاباً جعلَ عنوانهُ (التكملة) في التصريف وهو كتابٌ مستقلٌ بالتصريفِ ويعدُ التصريف قسماً من النحو بلا تفريقٍ بينهما , ولهذا يقول في تعريف النحو : ((النحوُ علمٌ بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب , وهو ينقسم الى قسمين : احدهما تغير يلحق أواخر الكلمة , والأخر تغير يلحق ذوات الكلمةِ وأنفسها))[2]) .

أما الرماني (ت ٣٨٤ هـ) فقد عرفَ التصريف بأنهُ :

((تصيير الكلمةِ على خلافِ ما كانت عليه الصيغة))[3]) .

وعرفهُ ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) بقولهِ :

((هو أن تأتي الى الحروف الأصول .... فتتصرف بها بزيادة حرف , أو تحريف بضربٍ من ضروبِ التغييرِ))[4]) .

فمعنى التصريف هو التلاعب بالحروف الأصول لما يرادُ فيها من المعاني المفادة منها , نحو قولك : ضربَ فهذا مثال الماضي , فإن اردت المضارع قلت : يضربُ , أو اسم الفاعل قلت : ضارب , أو المفعول قلت : مضروب , أو المصدر قلت : ضرباً , أو فعلاً لم يسمَ فاعله قلت : ضُرِبَ , وعلى هذا عامة التصرف من كلامِ

---

[1] - يُنظر : شرح السيرافي ٥ / ٢١١ ب – مخطوطة دار الكتب والوثائق القومية .
[2] - التكملة على الايضاح : أبو علي الحسن ابن احمد الفارسي – ط ٢ ص ١٨١ .
[3] - شرح الرماني : الرماني ٥ / ٦٣ ب – مخطوطة مكتبة فيض الله . رقم ١٩٨٧ هـ.
[4] - التصريف الملوكي : ابن جني . ط ١ بيروت ص ١٢ .

العربِ .

((فالتصريف كما يتضحُ من كلام ابن جني هو : تغييرُ الكلمةِ وتحويلها من بناءٍ الى آخر , كالماضي , والمضارع , واسم الفاعل , واسم المفعول , والمعلوم والمجهول , والمجرد والمزيد , وغيرها من الموضوعات التي يدورُ عليها بحثُ الصرفِ)) .[١]

و لخّص ابن جني فائدة الصرف بقوله : ((هذا القبيل من العلم يحتاج إليه جميع أهل العربية أتمّ حاجة، وبهم إليه أشدّ فاقة، لأنّه ميزان العربية، وبه تُعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يُوصَل إلى معرفة الاشتقاق إلاّ به، وقد يُؤخَذ جزءٌ من اللغة كبيرٌ بالقياس ولا يُوصَل إلى ذلك إلاّ من طريق الصرف))[٢]

ولم يدل التصريف على المعنى العلمي الا في القرن السابع الهجري حينَ ألـــــفَ ابن الحاجب (٦٤٦ هـ) كتابهُ الشافية في التصريف , الذي فرّق فيه بين النحو والتصريف حيث يقول : ((التصريفُ علمٌ بإصولٍ يُعرفُ بها أحوال ابنية الكلـم التي ليست باعراب))[٣] , وقد حددَ ابن الحاجب هذهِ الأحوال في كتابه الشافية , فالتصريف هو علمٌ بالاصولِ , أي بالقوانين التي تتغير بها ابنية الكلم .

أما ابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) يقول :

((التصريفُ : جعلُ الكلمةِ على صيغٍ مختلفةٍ لضروبٍ من المعاني))[٤] .

وذكرَ إنَّ التصريفَ قسمانِ : ((احدهما : جعلُ الكلمةِ على صيغٍ مختلفةٍ لضروبٍ من المعاني .... والأخرُ من قسمي التصريفِ : تغييرُ الكلمةِ عن اصلها من غير

---

[١] - يُنظر : ابنية الصرف على كتاب سيبويه . د.خديجة الحديثي / ص ٢٦ .
[٢] - المنصف : وهو شرح التصريف للمازني . ١ / ٢ .
[٣] - الشافية في التصريف : ابن الحاجب عثمان بن ابي بكر – ملحق ١ ص ٢١٦ .
[٤] - الممتع في التصريف : ابن عصفور , تحقيق د. فخر الدين قباوة , ٣٣٢/٣٣١/٤ .

ان يكون ذلكَ التغييرَ دالاً على معنى طارئ على الكلمةِ))[١] .

ويقولُ ايضاً : ((التصريفُ ميزانُ اللغةِ العربيةِ , وأمُّ العلومِ , وأشرف شطري العربية وأعمقها ..... وقد كان ينبغي أن يُقدمَ التصريفُ على غيره من علوم العربية))[٢] .

وصنفَ ابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) كتاباً تحت اسم التصريف , ويُعرفه بقولهِ : ((التصريفُ : علمٌ يتعلقُ ببنيةِ الكلمةِ , وما لحروفها من اصالةٍ وزيادةٍ وصحةٍ واعلالٍ وشبه ذلك))[٣] .

ويقولُ ايضاً : ((التصريف : تحويلُ الكلمةِ من بنيةٍ الى غيرها , لغرضٍ لفظي أو معنوي , ولا يليق ذلك الا بمشتقٍ , أو بما هو من جنسِ مشتقٍ والحرف غير مشتق , ولا مجانسٍ لمشتقٍ , فلا يُصرفُ هو , ولا ما توغلَ في شبههِ مـــــن الأسماء))[٤] .

وعرفهُ الرضي (ت ٦٨٦ هـ) في شرح الشافية : ((علمٌ بأبنيةِ الكلمةِ , وبما يكون لحروفها من اصالةٍ وزيادةٍ , وحذفٍ وصحةٍ واعلالٍ , وادغامٍ واماليةٍ , وبما يعرض لآخرها مما ليسَ بإعرابٍ ولا بناءٍ من الوقفِ وغير ذلك))[٥] .

وناقشَ الرضي ايضاً تعريف التصريف لابن الحاجب مناقشةً عميقةً اتجه فيها اتجاهاً منطقياً فيقول : " قوله (باصول) يعني بها القوانين الكلية المنطبقة على الجزئيات , كقولهم مثلاً ((كل واوٍ وياءٍ اذا تحركت وانفتح ما قبلها قُلِبَت

---

[١] - المصدر نفسه .
[٢] - الصرف الكافي : ايمن امين عبد الغني – ص ١٨ .
[٣] - شرح التصريف : ابن مالك – ص ٦ .
[٤] - المصدر نفسه .
[٥] - شرح الشافية : الرضي – ١ / ٧ , ويُنظر : التسهيل : ابن مالك – ص ٢٩٠ .

ألفاً)) , والحق ان هذهِ الأصول للتصريف , لا العلم بها " . [١]

والرضي بقوله هذا : " يريدُ الاعتراضَ على ابن الحاجب حيث قال ((التصريفُ علمٌ باصول)) ولم يقل التصريف أصول , وذلك ان عبارة ابن الحاجب تشعرُ بأنَّ التصريفَ غير الأصول المذكورة , مع انه نفس الأصول المذكورة " . [٢]

" وقولهُ ((ابنية الكلم)) المراد من بناء الكلمةِ ووزنها وصيغتها هيأتها التي يمكن ان يشاركها فيها غيرها , وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والاصلية كلٌّ في موضعه " . [٣]

أما "قوله ((أحوال ابنية الكلم)) يُخرِجُ من الحدِّ معظم أبواب التصريف , اعني الأصول التي تعرف بها ابنية الماضي والمضارع والامر والصفة وافعل التفضيل والالة والموضع والمصغر والمصدر " . [٤]

ولعله يتضحُ لنا من قول الرضي إنَّ التصريفَ ((علمٌ باصولٍ تُعرَفُ بهِ ابنية الكلمِ , لا أحوال ابنيتها)) . [٥]

" وقولهُ ((التي ليست باعراب)) لم يكن محتاجاً اليه لأن بناء الكلمة لا يعتبرُ فيه حالات آخر الكلمة , والاعراب طارئ على آخر حروف الكلمة , فَلِمَ يدخلُ اذن في أحوال الأبنية حتى يحترزَ عنه " . [٦]

وأشارَ الرضي ايضاً في شرح الشافية الى مدلول كلام سيبويه ((بناءُ ما لم تنطق

---

[١] - شرح شافية ابن الحاجب : الرضي ج١ ص١ و ص٢, دار الكتب العالمية .
[٢] - شرح شافية ابن الحاجب : الرضي ج١ ص٢, دار الكتب العالمية .
[٣] - المصدر نفسه .
[٤] - المصدر نفسه . ص٤ .
[٥] - المصدر نفسه . ص٥
[٦] - المصدر نفسه .

بهِ العرب .... الخ)) ومعناه على هذا هو تغيير الكلمة من وزن الى وزن آخر ,

سواء أكان ذلك من المعتل ام من غير المعتل على نسق كلام العرب .